بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

واضرب لهم مثلا - الحلقة : 20 - ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

14-05-2020

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، نحن مع برنامج جديد عنوانه : "واضرب لهم مثلاً"، يقول تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الحشر : 21]

ويقول أيضاً :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[سورة العنكبوت : 43]

فضرب المثل منهج قرآني أصيل ، يتبعه القرآن الكريم لإيصال الحقائق إلى الناس .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ بتحية الإسلام نحييكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نحن معاً في حلقة جديدة من برنامجنا : " واضرب لهم مثلاً " ، ضيفنا الدائم في هذه الحلقات المباركة فضيلة شيخنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، نرحب به بصحبتكم السلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وبارك الله بكم .

الدكتور بلال :

وبكم سيدي ، جزاكم الله خيراً ، سيدي الآية في سورة الأنفال تضرب مثلاً بقوم هؤلاء قال :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الأنفال : 21]

كيف سيدي قالوا : سمعنا وهم لا يسمعون ؟

طبيعة الإنسان إدراك فانفعال فحركة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

كأن هذه الآية قانون قننه الله ، الإنسان طبيعته إدراك ، انفعال ، حركة ، رأى في البستان أفعى ، بحسب دراسته ، درس الأشياء بالابتدائي ، والعلوم بالثانوي ، وكان عنده متحف رأى بعض الثعابين المصبّرة ، بحسب معلوماته ومعارفه يدرك أن هذا ثعبان ، ولسعته قاتلة ، تميع الدم كلياً ، عندما أدرك اضطرب .

الدكتور بلال :

هذا الانفعال .

الدكتور راتب :

أدرك فانفعل ، فلما انفعل هرب أو قتله .

الدكتور بلال :

غالباً يهرب سيدي .

الدكتور راتب :

يهرب أفضل .

فأي إنسان أصابه شيء ولم ينفعل معنى هذا أنه لم يعرف ما الذي أصابه ، قال له الطبيب : فشل كلوي ، ظنه وجع رأس ، توقفت الكلية ، معنى هذا انتهى ، إدراك ، إن لم يكن هناك انفعال لا يوجد إدراك ، وإن لم تكن هناك حركة لا يوجد انفعال ، قانون : إدراك ، انفعال ، حركة .

فأنت تستمع إلى آية قرآنية ، ولم تتأثر بها ، أو لم تنطلق إلى تطبيقها كأنك ما سمعتها إطلاقاً .

أقرب من هذا ؛ قلنا لشخص : على كتفك عقرب شائلة ، بقي هادئاً ، مرتاحاً ، ابتسم، وقال لك : أنا شاكر لك على هذه الملاحظة ، وأسأل الله أن يمكنني أن أكافئك عليها .

الدكتور بلال :

لم يسمع .

الدكتور راتب :

ما فهم ما قلت له إطلاقاً ، أما لو فهم ما قلت له ينطلق ، ينتفض ، يخلع ثيابه فجأة .

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

فهذه القاعدة مهمة جداً ، وهذه القاعدة قانون ؛ إدراك ، انفعال ، سلوك ، فإن لم تتحرك لم تنفعل ، وإن لم تنفعل لم تدرك ، أبداً .

فأنا عندما أسمع خطبة جمعة ، أو درس علم ، وكنت أثناء الخطبة أشتغل بخواطر لا علاقة لها بالخطبة، لا أتأثر ، أما لو علمت أن هناك موتاً ، من بيت إلى قبر ، تحاسب عن كل شيء .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر :92-93]

تنفعل ، وبعد الانفعال يوجد توبة ، فلذلك تمتحن انفعالك بالحركة ، وتمتحن انفعالك بالفهم ، تفهم ، تنفعل ، تتحرك ، هذا قانون .

فالإنسان ممكن أن يستمع للحق ، بدرس علم ، بخطبة جمعة ، بجلسة فيها عالم ، فإذا أنت لم تكن معه ، وكنت مع حظوظك وشهواتك وخواطرك كأنك لم تسمع شيئاً .

الدكتور بلال :

﴿ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الأنفال : 21]

الدكتور راتب :

﴿ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الأنفال : 21]

إطلاقاً .

الدكتور بلال :

سيدي ؛ الخوف من الله انفعال ؟ الخوف هو حالة انفعال ، إذا كان الإنسان أحمق لا يخاف من الله إذاً هو غير مدرك .

الخوف هو حالة انفعال و هو علامة إدراك :

الدكتور راتب :

مرة قال لي طالب : أنا لا أخاف من الله ، يبدو أنه ملحد ، قلت له : أنت معك حق لا تخاف ، قال : لماذا ؟ استغرب ! قلت له : الخوف إدراك ، إذا لم يوجد الإدراك لا يوجد خوف طبعاً .

كطفل يرى ثعباناً بالبستان يضع يده عليه ، لا يعلم ما هذا ، شيء طويل ، وألوانه جميلة ، يضع يديه عليه ، فإذا لم يوجد الإدراك لا يوجد خوف ، فالخوف علامة الإدراك ، علامة إيمانك تخاف منه ،

علامة إدراكك أن هناك موتاً ، وقبراً ، من بيت إلى قبر ، من زوجة، أولاد ، أصهار ، كنائن ، سهرات ، لقاءات ، سفريات ، سياحة ، سفر ، وجاهة ، مكانة ، إلى قبر .

((عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبقَ لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت))

[ورد في الأثر]

أنا أتصور أن الناس في معظمهم يعيشون حاضرهم ، وماضيهم ، وقلّما تجد واحداً منهم يعيش مستقبله، لماذا ؟ المستقبل فيه مغادرة الدنيا .

مرة دخلت لبيت معزياً ، ما شاء الله ! ثريات لا توصف من جمالها ، سجاد إيراني ، أثاث مذهل ، أثناء التعزية أسأل نفسي : من اختار هذه الثريات ؟ المرحوم .

الدكتور بلال :

تحت أطباق الثرى .

الدكتور راتب :

من اشترى السجاد ؟ المرحوم ، من اختار هذا الديكور ؟ المرحوم ، أين المرحوم ؟ فالبطولة أن تعيش الآخرة .

((عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبقَ لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت))

[ورد في الأثر]

كنت مرة في المغرب ، دخلت لشارع ضيق جداً ، في مكناس محل تجاري صغير مكتوب : صلّ قبل أن يصلى عليك .

الدكتور بلال :

أدرك نفسك ، سيدي ؛ إذاً الخوف علامة إدراك ، أيضاً الصبر سيدي ، عندما يصبر الإنسان أليس هذا علامة إدراك أيضاً ؟

علاقة الصبر بالإدراك علاقة وثيقة :

الدكتور راتب :

طبعاً ، عفواً أذكر أن شخصاً جالساً دخل الجامعة ، الآن الدراسة صعبة ، المعنى أنه لم يدرك النتائج ، أما هو لو عاش النتائج فيأخذ الليسانس ، ثم الدكتوراه ، بدخل معقول .

الدكتور بلال :

يصبر عندما يدرك .

الدكتور راتب :

بيت ، وزوجة ، وأولاد ، وسيارة ، أي تصور المستقبل مع العلم ، فالإنسان إذا ما فكر بالمستقبل يجد الدراسة متعبة .

الدكتور بلال :

لا يصبر عليها .

الدكتور راتب :

أنت افهم الشيء بنتائجه ، لا بواقعه .

عفواً ؛ أذكر شخصاً كان طموحه أن يكون متفوقاً بالدراسة ، رفض أن يذهب مع أهله أي نزهة طوال السنة ، لا مع أصدقائه ، ولا مع أهله ، أخذ المرتبة الأولى ، وأخذ أعلى مقام ، فدائماً يوجد نتائج ، ومقدمات ، فأي إنسان يتوقع نتائج باهرة بمقدمات تافهة يكون أحمق .

الدكتور بلال :

أيضاً سيدي ؛ تضربون مثلاً على كرسي طبيب الأسنان ، الكبير يصبر.

الدكتور راتب :

الراشد ، يوجد ألم ، يقول له : أنت سنك فوق السبعين ، لا تتحمل المسكن ، أو المخدر أبداً ، فهذا لمصلحته ، قد يمسك طرفي الكرسي ولا يصرخ ، أما الطفل فيصرخ ، الطفل ما أدرك أن هذا العمل لصالحه .

الدكتور بلال :

فالصبر إدراك .

الدكتور راتب :

الكبير صبر ، الصبر له علاقة بالإدراك .

الدكتور بلال :

أيضاً سيدي ما دمنا نتحدث عن هذا القانون ؛ إدراك ، انفعال ، سلوك ، أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((الندم توبة))

[أخرجه البزار وابن حبان والحاكم عن أنس بن مالك]

الندم أليس انفعالاً ؟

التوبة النصوح ندم إقلاع و عزم :

الدكتور راتب :

والله الحقيقة أنه يوجد عندنا منظومة من ثلاث فقرات ، ندم ، إقلاع ، عزم ، من هو التائب ؟

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾

[سورة التحريم : 8]

ما معنى التوبة النصوح ؟ أن تندم على ما فعلت حقيقةً ، وأن تقلع فوراً ، وأن تعقد العزم على ألا تفعل هذا مرة ثانية ، هذه التوبة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾

[سورة التحريم : 8]

الدكتور بلال :

إذاً الندم هو الإدراك ، أدرك أنه على ذنب فندم على ما كان منه .

الدكتور راتب :

أدرك فندم .

الدكتور بلال :

فتحرك .

الدكتور راتب :

ترك الذنب ، وعقد العزم ، وتحرك .

الدكتور بلال :

هذه التوبة النصوح .. نعم سيدي ؛ لو عندنا إلى الآية :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الأنفال : 21]

كأن هذا نهي من الله تعالى أن نكون مثل هؤلاء القوم .

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون

الابتعاد عن المجاملة التي قد تنقلب إلى نفاق :

الدكتور راتب :

سمعنا ؛ جاملوك ، ما شاء الله ! جلسة فيها كلمة حق ، ما شاء الله ! والله شيء رائع، لكن لا يفكر إطلاقاً أن يغير ، دخله فيه شبهة ، علاقاته ، حفلاته ، أوقات فراغه ، سفره ، سياحته ، هناك أشياء غش بمعمله ، بعمله ، فإذا الشخص لم يتحرك معنى هذا أنه لم يفهم ، لكن يوجد أناس أذكياء يجاملون ، هذه المقدمة لا تقدم ولا تؤخر .

الدكتور بلال :

وفي الدين قد تنقلب إلى نفاق ، سمعنا ، ثم يمضي حياته كما يريد دون أي تغيير .

الدكتور راتب :

الآن الإنسان بذكائه يجامل من يدعوه إلى الله لكن لا يطبق منهجه .

خاتمة و توديع :

الدكتور بلال :

لن يستفيد شيئاً .

جزاكم الله خيراً سيدي ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ أخواتي الكريمات ؛ في نهاية هذا اللقاء أشكر لكم حسن المتابعة كما أشكر لشيخنا ما تفضل به وأجاد ، أسأل الله تعالى أن نلتقيكم دائماً على خير وأنتم في أهنأ حال مع الله ، ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته